

باحث سياسي مغربي في قضايا الفكر العربي الإسلامي والفلسفة احفظ المقالات لقراءتها لاحقاً وأنشئ قائمة قراءتك مصر. شكلت القيم والمبادئ الكبرى، التي مثّلت غطاءً أخلاقياً وموجاً فكريّاً للتنوير والحداثة، يقدم نفسه باعتباره مشروعًا كونيًّا، يحمل في جانب منه قيماً إنسانية للانتقال بالإنسان والمجتمعات من وضعية التقليد، من خلال مركبات العقلانية والحرية والفردانية والديمقراطية والمساواة، تكشف مخرجاته منذ عقود، في نزاعات تدميرية للإنسان والمجتمعات التي تختلف مركباتها الثقافية والقيمية وإراداتها السياسية عن المنحى الذي ترسمه بعض القوى المهيمنة على أدوات إنتاج الحضارة إلى حدود اليوم، وبصيغة أخرى؛ يحمل المشروع معه خطيئة الولادة على مستوى الجينات التي يتشكل منها. أين يتجلّى ذلك؟ وما هي تمظاهراته على مستوى التاريخ الحديث والواقع؟ وكيف تؤثر نظرته المعاصرة للأخر والرافضة له في بعض تجلياته مع الاستعمار ومناهضة تحرر الشعوب واستقلالها وسيادتها على العلاقة بين الثقافات والشعوب والحضارات. لا يهم كثيراً الوقوف على الدلالات اللغوية والاصطلاحية لمفاهيم من قبل التنوير والحداثة، كما لا يهم الدخول في توصيف أكاديمي للانتقالات المعرفية التي مرت منها نماذج الحداثة وإرادة التنوير. لقد انتبه النقاد جيداً - عقب هزيمة يونيو حزيران مع الرعيل الثاني من رواد الفكر النهضوي العربي - إلى التراث كعامل ينبغي الاشتغال عليه، ما يؤدي إلى إلغائه؛ أو العكس تماماً، حيث كان الانشغال بها من منطلق الرفض الكامل لها، وأن طريق التقدم في العودة للإسلام. وهذا فيه غربة عن العصر في واقع الأمر، ومن ثم تمنع البعد الحضاري الإسلامي إمكانية الاستئناف بما يقوم بعملية وصل خلاقة بين التراث الحضاري الإسلامي المشرق وقيمته، إذ إن التحولات الكبرى في مسار الحضارات والثقافات والشعوب، كان الوازع فيها أخلاقياً، ومهما امتلكت الدول أدوات التقنية والتقدم، فإن التجدد من الوازع الأخلاقي يعد مؤشراً لبداية الانحدار لقد كان الاستعمار للعالم الإسلامي أهم العوامل التي غذّت الرفض، وحجبت عملية النقد الوعائية لمشروع الحداثة، ومن ثم شكل القرن العشرين مقاومة مباشرة للاستعمار، فكانت الثقافة واحدة من أوجه المقاومة والرفض لكل ما يأتي من الضفة الأخرى، بما يعني أن الاستعمار يعد عائقاً من العوائق التي تمنع عملية التثقيف القائمة على الحوار المتبادل بين ثقافات الشعوب وخصوصياتها الحضارية. وبالمثل مثلت الرؤية - التي تشكلت عقب إدخال العالم الغربي لسيارات الحداثة إلى العالم العربي والإسلامي - نظرة دونية وإقصائية، بدعوى الفصل بين العالم المتحضر وغير المتحضر، والخشد الجماعي بلغة قائمة على المفاصلية التامة، عند تأمل هذه النظرة من قبل الغرب، إذ يعتبر الاستعمار والرغبة في الهيمنة بأدوات العنف المميت أحد أكثر الأوجه بشاعة التي رافقـت مشروع التقدم الحديث. تشكل عنـاً معنوـياً ورفضـاً للأخر وما يستـبطـنه، ثم تبدأ بالتحلل والانهيار، ومهما امتلكت الدول أدوات التقنية والتقدم، فإن التجدد من الوازع الأخلاقي يعد مؤشراً لبداية الانحدار. يشكل باعثاً خلأـاً على الاستئناف النهضوي والحضاري، مستندـاً إلى العودة إلى ذاتـه الحقيقـية وهـويـته مع التحلـي بروحـ العـصرـ. والـسـماـحـ له بالـتـخلـقـ علىـ آنـقاـضـ التـصـورـاتـ الـقيـمةـ الـحـادـةـ لـلـغـربـ. قدـ كـانـتـ الـقـدـسـ وـقـضـيـةـ فـلـسـطـيـنـ باـسـتـمرـارـ مـلـهـمـةـ لـلـوـعـيـ الـحـضـارـيـ الـعـربـيـ إـلـيـ إـسـلـامـيـ عـلـىـ مـدـىـ التـارـيخـ باـسـتـئـنـافـ دـوـرـةـ الـحـضـارـةـ وـإـشـرـاقـ مـنـ جـدـيـدـ، لكنـ هـذـهـ مـرـةـ تـحـمـلـ مـعـهـ مـرـأـةـ كـاـشـفـةـ لـمـأـزـقـ الـحـادـثـ وـالـتـنـوـيرـ وـالـتـقـدـمـ الـمـسـنـوـدـ بـالـقـوـةـ الـمـتـحـلـلـةـ مـنـ الـأـخـلـاقـ، مـأـزـقـ التـنـوـيرـ وـالـحـادـثـ. الـسـيـادـةـ الـمـطـلـقـةـ لـلـعـقـلـ وـضـمـورـ الـحـسـ

الأـخـلـاقـيـ مـنـذـ الـقـرـنـ الـ17ـ حـتـىـ هـذـهـ الـلـحـظـةـ الـراـهـنـةـ، لكنـ فـيـ الـوقـتـ ذـاـتـهـ لـمـ تـكـنـ هـنـاكـ الرـقـابـةـ وـالـحـمـاـيـةـ الـكـافـيـةـ الـتـيـ تـضـمـنـ عـدـمـ الـوـقـوعـ فـيـ تـرـفـاتـ حـادـةـ، حـمـلـتـ مـعـهـ مـشـكـلـاتـ لـلـمـسـتـقـبـلـ؛ هـيـ مـاـ تـعـيـشـ إـلـيـنـانـيـةـ الـيـوـمـ مـنـ آـلـاـمـ لـاـ حـسـرـ لـهـ. هـذـهـ الـآـلـاـمـ نـاتـجـةـ عـنـ الـوـقـوعـ فـيـ الـمـحـنـوـرـ الـأـخـلـاقـيـ، وـعـلـيـهـ فـلـيـسـ هـنـاكـ مشـكـلـةـ فـيـ الـعـقـلـ، بلـ هوـ أـعـدـ قـسـمـةـ بـيـنـ النـاسـ، خـاضـعـاـ لـهـ، مـنـ هـذـاـ الـمـنـطـلـقـ أـصـيـلـاـ عـادـيـاـ الـحـرـوبـ وـإـبـادـةـ إـلـيـنـانـ الـإـنـسـانـ وـالـمـجـتمـعـاتـ، مـعـ الـقـدـرـةـ عـلـىـ تـبـرـيرـ ذـلـكـ. وـهـذـاـ كـانـ مـنـذـ هـجـرـةـ الـبـيـورـيـتـانـ إـلـىـ أـمـيرـكـاـ وـإـبـادـةـ الـهـنـودـ الـحـمـرـ بـهـاـ، الـتـيـ تـعـدـ فـلـسـطـيـنـ آـخـرـ الـظـواـهـرـ الـإـسـتـعـمـارـيـ الـمـعـمـرـةـ وـالـتـجـلـيـاتـ الـبـارـزـةـ مـنـذـ تـلـكـ الـحـقـبـةـ. وـهـمـاـ مـعـاـ يـمـكـنـ عـدـهـاـ تـعبـيرـاـ أـصـيـلـاـ عـنـ أـزـمـةـ نـاجـمـةـ عـنـ بـشـعـ فـيـ مـنـظـومـةـ التـنـوـيرـ وـالـحـادـثـ، الـتـيـ جـعـلـتـ التـقـدـمـ غـايـتـهاـ دـونـ أـنـ تـضـعـ لـهـ ضـوابـطـ وـقـيـمـاـ

أـخـلـاقـيـةـ، تـجـعـلـ "ـإـلـيـنـانـ الـمـكـرـمـ"ـ فـيـ صـلـبـ هـذـاـ التـقـدـمـ. يـجـسـدـ فـيـهـمـاـ الـإـسـتـعـمـارـ الـقـوـةـ الـخـشـنـةـ، يـقـابـلـهـ رـفـضـ مـسـتـمـرـ وـمـمـانـعـةـ لـلـتـطـوـيـعـ وـالـخـضـوـعـ بـمـخـتـلـفـ أـشـكـالـ الـمـقاـوـمـةـ. مـنـ نـاحـيـةـ أـخـرـىـ، الـتـيـ تـأـتـيـ أـحـيـاـنـاـ عـلـىـ ظـهـرـ دـبـابـةـ، وـأـحـيـاـنـاـ أـخـرـىـ مـنـ خـلـالـ وـسـائـطـ ثـقـافـيـةـ. الـذـيـ يـسـعـيـ لـلـاستـئـنـافـ مـنـذـ ثـلـاثـةـ قـرـونـ. وـالـمـشـهـدـ الـحـالـيـ الـذـيـ نـوـاجـهـ، وـهـوـ سـيـاقـ انـهـيـارـاتـ أـخـلـاقـيـةـ وـفـلـسـفـيـةـ وـقـيـمـيـةـ كـبـرـىـ،